طلقة (١٨)

النصر قريب يا رجال

نعم لإسرائيل .. لا لأمريكا !

«في يوم ١٩ أكتوبر بعد اجتماعي بالقادة عدت إلى قصر الطاهرة وبدأت في الحال تنفيذ قراري طلبت منهم أن يستدعوا السفير السوفيتي والى أن حضر كتبت برقية إلى الرئيس الأسد قلت فيها إنني قبلت وقلبي ينزف دماً مبدأ وقف إطلاق النار لأني مستعد أن أصيب إسرائيل مهما طال الوقت لكني غير مستعد على الإطلاق لمحاربة أميركا كما أني لا أسمح بأن تدمر قواتي المسلحة مرة أخرى أو أن يدمر شعبنا ومنشأته وفي أخر البرقية قلت له إنني مسؤول عن هذا القرار يحاسبني عليه الشعب في مصر وتحاسبني عليه امتنا العربية...

وجاء السفير السوفيتي فقلت له: لقد قبلت وقف إطلاق النار على الخطوط الحالية.. في هذا الوقت كان كسينجر في طريقة إلى موسكو بشأن عملية وقف إطلاق النار فاستأنفت حديثي مع السفير وقلت له: الدولتان العظيمتان يجب أن تضمنا وقت إطلاق النار والتنفيذ الفوري لقرار ٢٤٢ وبالفعل تقرر وقف إطلاق النار في السابعة مساء ٢٢ أكتوبر ويجب هنا أن أقر حقيقة للتاريخ أن قواتنا قاتلت من ١٩ إلى ٢٢ أكتوبر قتالا رائعا مجيدا وأنا أتحدى إسرائيل أن تعلن عن خسائرها الحقيقية في الثغرة».

* إنها كلمات السادات في مذكراته... ولاحظ انه ناور بمسألة وقف إطلاق النار يوم ١٠ أكتوبر ثم يوم ١٩ أي انه كان يريد وفقا لوجهة نظره السياسية أن يحافظ على انتصاره العسكري ويستثمره سياسيا وتخرج قوات مصر بأقل خسائر ممكنة عسكريا واكبر المكاسب سياسيا حتى نرصد حقيقة الثغرة من جميع الزوايا بما لها وما عليها.. أعود للحديث الصحافي للمشير احمد إسماعيل مع هيكل حيث قال: نعم لقد تضاربت الآراء حول الثغرة وفي البداية قلنا أنها سبع دبابات عبرت ثم قلنا إننا احرقنا معظمها ثم قلنا إننا انذرنا الباقي بالاستلام أو الدمار وفجأة بدأت بياناتنا تتحدث عن القتال على ضفتي قناة السويس هذا على صعيد البيانات وكنت احذر دائما من البيانات المضللة وما حدث يعود إلى يوم ١٦ أكتوبر وكنت في مجلس الشعب وعرفت أن عناصر تسللت عبر دبابات برمائية وكنت أعرف أن

القضاء عليها ممكن جدا والقائد المسؤول عن تلك المنطقة حرك كتيبة صاعقة ولكن العدو استطاع أن يخفي دباباته المتسللة في منطقة الثغرة وبها حدائق فاكهة ساعدته على ذلك والعدو استمات وألقى بثقله في الثغرة وكان على استعداد لتحمل أي خسائر لتحقيق هدفه ربما كان يريد ارغامنا على سحب قواتنا من الشرق وذلك ما لم نكن نريده وقد عرف بصدور قرار وقف إطلاق النار وإراد أن يبعثر قواته في اكبر مساحة ممكنة بأسلوب حرب العصابات والدبابات وإنني اسلم بان فترة الثغرة كانت غير طبيعية بالنسبة للقوات المسلحة.

عودة إلى الشاذلي

المصيبة أن رئيس الجمهورية فى بلادنا إذا قال شيئا فان الإعلام بالتالي يصدق عليه ويعتبر ما عداه من الأكاذيب.. هكذا يقول الشاذلي ويضيف: عبرت فرقة شارون كاملة وهي مكونة من لواءين مدرعين وليس مجرد سبع دبابات كما قالوا.

لكن بطولات رجالنا كانت حاضرة فهو لم يستطع بهذه الفرقة أن يصل إلى الإسماعيلية حيث تصدى له لواء مظلات مع كتبتين صاعقة ونجحوا في إيقاف فرقة مدرعة هذه حقائق وعلامات يجب أن تكتب بأحرف من نور في تاريخ العسكرية المصرية واذكر أن قائد المظلات هو إسماعيل عزمي وقائد الصاعقة على ما اذكر أسامة..

ويطالب الشاذلي بالعودة إلى السجلات الرسمية لمركز ١٠ الخاصة بالقيادة العامة والذي يتم فيه توثيق تحركات القادة متى وصل؟ ومتى ذهب؟ إنها الوثائق الرسمية لكل ما جرى في ساحة المعركة.

في يوم ٢٠ كان الوضع في غاية السوء كما يقول الشاذلي وقتها ترك قيادة الجيش الثاني وكان العدو له خمسة ألوية..

واقترحت سحب أربعة ألوية من الشرق وبذلك نتفوق عدديا على العدو لان لنا

لواءين في الغرب ومعناه أن لنا ستة.. ومع يوم ٢١ تم حصار الجيش ولكن احمد إسماعيل كانت لديه عقدة سحب الجيش من البر الشرقي ولما اشتعل خلافي معه طلبت الاحتكام إلى السادات باعتباره القائد الأعلى وكان هدفي أن يوثق كل شيء للتاريخ وكل فرد يتحمل مسؤولياته وقال السادات غير ذلك في كتابه.. وعموما وصل السادات فعلا حوالي ١١.٣٠ مساء ودخل غرفة احمد إسماعيل واستمر معه في نقاش لمدة ساعة وللدقة يجب أن نذكر بان مساحة الثغرة في يوم ٢٠ بعمق ١٠:٢٠ كيلو متر ولم تصل إطلاقا إلى طريق السويس وغير صحيح ما ذكرته بعض المصادر الصحافية حول ما جرى في هذا اليوم لكن حقيقة الأمر أن طريق السويس تم قطعه يوم ٢٤ وتم حصار الجيش الثالث ولذلك يتحدث السادات عن الثغرة دون تحديد دقيق للتواريخ والأيام مع أن كل لحظة لها أخبارها وأحداثها.. وكان واضحا أن السادات بدأ يتجاهل الشاذلي لمعرفته المسبقة بوجهة نظره.

المشهد هذا بحواره الذي كان بين طرفين هما احمد إسماعيل والشاذلي له الكثير من الدلالات لأمور كثيرة تخص الشخصين والأحداث: ويجب أن نعرف بان تاريخ المشهد يعود إلى أربعة أسابيع قبل حرب أكتوبر وهذا هو نصه:

إسماعيل: أخيرا سنقوم بالحرب فإذا سارت الأمور على ما يرام فأن أحدا لم يهتم بتوجيه كلمة شكر لنا أما إذا تطورت إلى موقف سيء فأنهم سيبحثون عن شخص يلقون عليه المسؤولية!

سعد: أنا شخصيا لا يهمني أن أتلقى كلمة شكر أو لا أتلقى أن سعادتي في أرضاء نفسي ولا أخشى كلمة لوم لأني متيقن من ذلك بإذن الله.

المدهش في هذا الحوار أن الشاذلي الذي على كان دراية كاملة بقوة العدو ويردد ذلك كثيرا هو الأشد ثقة في الله وفي تفكيره وكان يدرك أن الحرب مع إسرائيل يعني الحرب مع أميركا أيضا لان القائد العسكري لابد أن يكون على دراية بالأوضاع من حوله ففي مسار ٩ أكتوبر نقل كيسنجر وزير الخارجية الأميركي إلى

السفير الإسرائيلي قرار الرئيس الأميركي بإرسال جميع قطع الغيار والمعدات المطلوبة وتعويض كل ما تفقده إسرائيل من طائرات ودبابات إلى جانب إرسال دبابات طراز م-٦٠ وهي الأحدث وأقيم لذلك الجسر الجوي ابتداء من ١٣ أكتوبر بأوامر من نيكسون وكانت إسرائيل قد استهلكت مخزونها الاستراتيجي من السلاح ولم تستطع طائرات الجامبو المملوكة لشركة العال الإسرائيلية أن تفي بالغرض وتنقل الأسلحة لذلك تم استئجار طائرات نقل مدنية إلى جزر الازور في المحيط الأطلسي ومنها إلى تل أبيب وتقول الأرقام:

استخدمت أميركا لتنفيذ الجسر الجوي ٢٢٨ طائرة نقل منها ٥١ طائرة إس٥ وعدد١٧ من طراز إس١٤١.. ونفذت هذه الطائرات ٥٦٩ طلعة وصلت إلى إسرائيل تحمل الكميات الآتية:١٤٧ طلعة بواسطة طائرة إس ٥ مصر نقلت ١١ ألف طن من الاحتياجات ، ٤٢٢ طلعة بواسطة طائرات إس ١٤١ نقلت ١١.٥ ألف طن من العتاد الحربي.

وحدد وزير الدفاع الأميركي عدد الطائرات التي يسمح بهبوطها في إسرائيل في اليوم الواحد بعدد ٢٣ طائرة كحد أقصى لاعتبارات سياسية منها ٦ طائرات إس٥، ١٧ طائرة س١٤١.

استمر الجسر الجوي لمدة ٣٣ يوما اعتبارا من ١٣ أكتوبر وحتى ١٤ نوفمبر استخدم فيه حوالي ٢٤ في المائة من حجم طائرات النقل التابعة لقيادة النقل الجوي في اليوم الواحد طوال مدة عمل الجسر.

تمكن الجسر الجوي من نقل ٢٢.٤٩٧ ألف طن من الأسلحة والمعدات والذخيرة إلى إسرائيل.

إلى جانب الجسر الجوي أنشأت أميركا جسرا بحريا يوم ٢ نوفمبر بحمولة ٢٣.٢١٠ ألف طن من الدبابات والمدافع والعربات وبلغ إجمالي ما تم نقله ٧٤ في

المئة من خطة الإمدادات وقد تكلف الجسر الجوي ٨٨.٥ مليون دولار وبلغت الإمدادات ذروتها أيام ١٥، ١٦، ١٧، ١٨ أكتوبر لدعم الثغرة ومن دون ذلك ما أمكن لإسرائيل أن تحقق نجاحا يذكر في الثغرة.. والأرقام سالفة الذكر نشرها الجمسي في مذكراته مستنداً إلى تقرير مراقب عام الدولة الأميركي.

وعلى الجانب الأخر يعرض الشاذلي فاتورة الدعم العربي لمصر وسورية في الحرب بشيء من التفصيل وقد تصدرت العراق الدول العربية التي قدمت لمصر عدة أسلحة قبل الحرب تمثلت في سرب طائرات هوكوهنتر وفرقة مدرعات وفرقة مشاه كما بعث بسربي طيارات على الجبهة السورية أما الجزائر فقدمت إلى مصر سرب ميغ٢١ وأخر سوخوي وثالث ميغ١٧ أما ليبيا فقدمت سربي ميراج احدهما يقوده طيارون ليبيون والأخر يقوده طيارون مصريون كما قدمت السعودية معدات وطائرات وذخيرة وكذلك فعلت المغرب وشارك لواء سوداني في الحرب.

ولو تم مقارنة المدد الأميركي بالمدد العربي سنجد أن المقارنة ليست منصفة.. ومع ذلك كانت الثقة هي النقطة الفاصلة في العقيدة القتالية التي حاول الشاذلي أن يبثها في روح جنوده وضباطه وقد بلغ بهم اليأس مداه بعد النكسة لاسترداد الأرض وتلقين العدو المتغطرس درساً من خير أجناد الأرض وقد إصابه الغرور بتلك الحرب التي كسبها عام ١٩٦٧ بدون نزال أو تنافس ميداني حقيقي.. فهل يعقل بعد ذلك أن يقول أحمد إسماعيل وهو على فراش المرض يعاني آلام السرطان أمام السادات:

والله يا فندم لقد عاد رئيس الأركان سعد الشاذلي من الجبهة ويقول من الضروري أن نسحب الجيشين الثاني والثالث من سيناء لان اليهود قد دخلوا الثغرة وأنهم سيطوقون الجيشين وان شيئا مروعاً من الممكن أن يحدث ولابد من الانسحاب حفاظا على القاهرة وبناء على ذلك تم عزل الشاذلي.. لكن كمال حسن علي قائد المدرعات له رأي أخر يكشف الكثير من الأوراق!